

عادات وتقاليد الاحتفال بليلة القدر في المجتمع الجزائري
(دراسة سوسيو-أنثروبولوجية بمدينة وهران).

Habits and traditions the celebration of the Laylat al-Qadr in Algerian society (Socio anthropological study in the city of Oran).

لغرس سوهيلة*

جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر.

Souhila.laghresse@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2020/08/05 تاريخ القبول: 2021 /01/21

ملخص:

تهدف الدراسة للتعرف على المظاهر الاجتماعية والثقافية للاحتفال بليلة القدر في المجتمع الجزائري ونخص بالذكر المجتمع الوهراني، ولقد أسفرت الدراسة إلى العديد من النتائج أبرزها ما يلي:
- يعتبر الاحتفال بليلة القدر وسيلة أساسية للتعبير عن التقاليد والعادات والعمل على تعزيزها ونقلها من جيل لآخر.
- يعكس الاحتفال بليلة القدر ثقافة المجتمع.
- تساهم الاحتفالات الدينية في الرباط الاجتماعي.
وفي الأخير، يساعدنا الاحتفال على معرفة واقع المجتمع.
الكلمات الدالة: الاحتفالات الدينية، ليلة القدر، الثقافة، العادات، الأساطير.

Abstract:

The study aims to identify the Social and cultural manifestations of the celebration Laylat al-Qadr in Algerian society -The city of Oran as a model.

It led to a number of results, and the most noted ones are:

- the celebration of the Laylat al-Qadr are an important means of expressing, reinforcing and transmitting traditions and Habits.
- the celebration of the Laylat al-Qadr are signposts of the culture.
- Religious ceremonies contributes to the social band.
- Finally; the ceremony helps us acknowledge the reality of the societe.

Keywords: Religious ceremonies; Laylat al-Qadr; culture; Habits; Myths.

*المؤلف المرسل: لغرس سوهيلة، الايميل: Souhila.laghresse@univ-mascara.dz

مقدمة:

إن الحياة الاجتماعية مؤسسة على الدين، وهذا الأخير يتكون من المعتقدات والطقوس والأساطير، وهذه المكونات الثلاث نجدها تترابط مع بعضها البعض، وتتجلى أهميتها (المكونات) في فهم الدين. ولكن في دراستنا هذه سنركز على الجانب الطقوسي للدين ونخص بالذكر الطقوس الاحتفالية التي نجدها في مختلف الديانات التوحيدية منها والتعددية فنجد على سبيل المثال الدين اليهودي يحتفل بعيد الفصح وبعيد الظل، أما الديانة الهندوسية فنجدها مثلا تحتفل بعيد الهولي وحفلة الديفافالي.

وفيما يخص الدين الإسلامي فهو يتضمن العديد من الاحتفالات كالاحتفال بعيد الفطر، الاحتفال بعيد الأضحى، الاحتفال بعاشوراء والاحتفال بليلة القدر.

ما يمكن التنويه إليه، أن الاحتفال الديني يأخذ طابعا ثقافيا خاص بمجتمع دون آخر حتى داخل المجتمعات التي تدين بدين واحد كالمجتمعات الإسلامية مثلا، وعليه فالإشكال المطروح هو كآتي: فيما تمثل عادات وتقاليد الاحتفال بليلة القدر داخل المجتمع الجزائري؟ وهل تعكس تلك العادات والتقاليد ثقافة المجتمع؟.

فالإجابة المؤقتة لهذه الأسئلة تتمحور في الفرضيات التالية:

-يتضمن الاحتفال بليلة القدر مجموعة من العادات والتقاليد منها ما هو اجتماعي ومنها ما هو ديني كأداء صلاة التراويح، حتم القرآن الكريم وتحضير أطعمة خاصة بهذه المناسبة وزيارة الأضرحة.
-تعكس المعتقدات والعادات والتقاليد الخاصة بالاحتفال ثقافة المجتمع الجزائري عامة والمجتمع الوهراني خاصة.

ومن هنا تتجلى أهداف البحث فيما يلي:

-محاولة معرفة أهم العادات والتقاليد التي يمارسها أفراد المجتمع الوهراني للاحتفال بليلة القدر.
-معرفة الممارسات الدينية والاجتماعية التي يتضمنها هذا الاحتفال.
-السعي للتعرف على الميثولوجية الدينية والاجتماعية حول ليلة القدر من منظور الأفراد.
-التعريف بثقافة المجتمع الجزائري عامة والمجتمع الوهراني خاصة المرتبطة بالاحتفال بليلة القدر.
أما عن المقاربة المعتمدة في هذه الدراسة هي المقاربة الأنثروبولوجية التي تستند على المنهج التفسيري والمنهج الوصفي والتي تعتمد أيضا على النظرية الوظيفية والنظرية البنيوية الوظيفية التي تساعدنا على

توضيح وتحديد مسارنا البحثي هذا والمتمثل في عرض مختلف وظائف الاحتفال بليلة القدر الاجتماعية منها والنفسية وبالتالي إبراز أهميتها داخل المجتمع سواء على المستوى الاجتماعي أو المستوى الفردي وذلك استنادا على ما أشار إليه الباحثين الأنثروبولوجيين والاجتماعيين أمثال فيكتور تيرنر عند دراسته للطقوس في المناطق الإفريقية، حيث قال: "إن الطقوس تعتبر مفتاح، فمن خلاله نفهم جوهر أو بنية المجتمعات" (Victor tuner .1990. p.15). وهذا ما يعني أنه بواسطة الطقوس نستطيع التعرف على ثقافة المجتمعات وبالتالي التنبؤ وتوقع ممارسات أفرادها وهذا ما أشار إليه أيضا الأنثروبولوجي كلود ليفي ستروسي (Levi-strauss) في خاتمة كتابه المعنون ب"الإنسان العاري" (1972) الذي يقترح فيه دراسة الطقوس "بذاتها ولذاتها عملا على فهم ما الذي يجعلها تشكل ميدانا متميزا عن علم الأساطير، والعمل على تحديد مواصفاتها الخاصة" (مصباح الصمد. 2006. ص: 631).

في حين يشير ريفيار كلود إلى أن الطقوس "تعتبر وسيلة من وسائل المساهمة في عملية التنشئة الاجتماعية" (Riviere.c. .1997. p. 85).

أما الوظائف النفسية للطقوس الدينية فإننا نجد ما لينوفسكي يشير في قوله: "أن وظيفة الطقوس تكمل في أنها تطمئن الأفراد وتمنحهم الشجاعة لمواجهة الصعوبات والأخطار" (Segelem.m.2001. p. 63).

وفيما يخص التقنية المستعملة في هذه الدراسة تتمثل في الملاحظة والمقابلة التي تم التركيز فيهما على المحاور التالية:

- المعطيات السوسيو مهنية للمبحوثين: الجنس، نوع الأسرة، السن.
- التعريف بالاستعدادات والتحضيرات للاحتفال بليلة القدر.
- المظاهر الاجتماعية والثقافية للاحتفال بليلة القدر.
- العادات والتقاليد والمعتقدات التي يتضمنها الاحتفال بليلة القدر.
- أهمية الاحتفال بليلة القدر على المستوى الفردي والجماعي بالمجتمع.

وقد أجريت الدراسة بمدينة وهران أي في إحدى قطاعاتها الإدارية الحمري: 'مديوني' وذلك باختيار "حي بلبشير محمد".

أولا: تحديد المفاهيم: سنعمل في هذا العنصر على تحديد مفاهيم الدراسة فيما يلي:

1 مفهوم الاحتفال الديني:

قبل أن نتطرق لتعريف الاحتفال الديني يتوجب علينا أولاً تعريف الاحتفال. فالاحتفال هو: "عبارة عن عادات جماعية مورست في مناسبات مختلفة وارتبطت بعواطف وطنية وقومية، وتبلورت حول معانٍ وقيم وأحداث لا يمكن الأفراد أن يعزلوا أفكارهم ومشاعرهم عن التغيي بها وتذكرها في مناسبات الدورية" (دياب فوزية، 1980، ص: 182).

نستخلص من هذا التعريف أن الاحتفالات هي مجموعة السلوكيات التي يمارسها الأفراد في مناسبات معينة، بحيث تكون هذه المناسبات مرتبطة بمشاعرهم وأحاسيسهم سواء إن تعلق بالوطن أو بالقومية، بحيث تترسخ في أذهانهم وقلوبهم وبهذا لا يستطيعون الاستغناء عنها، بمعنى أن الاحتفالات تعيد أهمية المناسبة التي أقيمت من أجلها، كما نجدها أيضاً (الاحتفالات) تتضمن عناصر ثقافية واجتماعية ودينية، بحيث هذه العناصر تتداخل فيما بينها وتشكل بالتالي طابع خاص يتسم به المجتمع.

ومما سبق ذكره يتضح لنا أن الاحتفالات الدينية: هي عبارة عن "مناسبة دينية قد تعبر عن وقوع حادثة مهمة فمثلاً نجد الحفلات الهندوسية معظمها تشير إلى الشخصيات الدينية كحفلة Dipavali و Dashehra وحفلة Holi وهي حفلة عن الربيع وتكون آخر يوم في السنة بالنسبة لهم وتمتد من فيفري إلى مارس، أما الحفلات اليهودية نذكر من بينها حفلة Le sabbat وهو احتفال بمناسبة خلق الإله للسماء والأرض في ستة أيام" (M. Malherbe .1990.p:164- 171).

أما عند المسلمين نجد أيضاً احتفالات متنوعة كاحتفال "بالمولد النبوي الشريف" بمناسبة ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم" والاحتفال بليلة القدر بمناسبة نزول القرآن الكريم على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، الاحتفال بعيد الفطر والاحتفال بعيد الأضحى.

إضافة إلى ذلك نجد أن الاحتفالات الدينية هي عبارة عن مناسبات اجتماعية يلتقي فيها الأصدقاء والأهل والأقارب، وبهذا تتوسع شبكة العلاقات الاجتماعية، كما أنها تحافظ على التراث الثقافي من العادات والتقاليد والرموز والمعتقدات الشعبية، فضلاً عن أنها مناسبات للترويح والترفيه عن النفس. وخلاصة القول، إن الاحتفالات الدينية تعكس حاجات عميقة للإنسان قائمة على ما هو ديني وعلى ما هو اجتماعي - ثقافي.

2 ليلة القدر:

هي ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم، وهي ليلة مقدسة عند المسلمين لأنها ارتبطت ببداية نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم، ذلك لأنها تندرج ضمن الزمن المقدس والذي نقصد به "إحياء الحوادث الدينية التي لها تأثير قوي في الوجود الإنساني كخلق الأرض، الميلاد، الموت،..." (Chelhod.J.1986 : 237-238).

وانطلاقاً من هذا التعريف فإن الزمن المقدس يكون له صلة بقوة مقدسة وهو متنوع الأشكال والبروز، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإنه يترك تأثيراً قوياً في مشاعر الأفراد مما يؤدي بهم الأمر لإعادة إحيائه من جديد، وهذا الإحياء يكون مرتبطاً بحوادث دينية حدثت في الماضي. ومما سبق ذكره، يتضح لنا أن الزمن المقدس زمناً يتضمن حوادث دينية ويكون منفصلاً وامتيازاً عن الزمن الدنيوي، بحيث نجده (الزمن المقدس) "يتخلى عن العادات المملة للحياة اليومية من خلال تضمينه أو احتوائه الاحتفالات كالأعياد أو بالعكس من خلال الزهد أو الأحران" (Chelhod,J : 1986 :238).

يمكننا القول من خلال هذه المميزات التي يتصف بها الزمن المقدس بأنه يكتسب طابع المثالية والاحترام من طرف الأفراد الذين يقومون بإحيائه دورياً وفي فترات معينة، وبالتالي اختلافه عن الزمن الدنيوي (المدنس) وفي هذا المعنى نجد مرسياً إلباد يشير إلى طبيعة الحدود الفاصلة بين ما هو مقدس وما هو دنيوي في قوله: "أن القدسي يتجلى دائماً كحقيقة من صعيد آخر غير صعيد الحقائق الطبيعية... يعلم الإنسان بالمقدس لأنه يتجلى، يظهر نفسه شيئاً مختلفاً كل الاختلاف عن الدنيوي... ليس ثمة انقطاع لاستمرار ظهور الآلهة بدءاً من تجلي القدسي في شيء ما كحجر، وانتهاءً بالتجلي الأعلى الذي يمثل لدى المسيحي تجلي الله في يسوع، إنه الفعل الخفي فيه... تجلى شيء مختلف تماماً، أي حقيقة لا تنتسب إلى عالمنا في أشياء تشكل جزءاً لا يتجزأ من عالمنا الطبيعي والدنيوي... (شحاتة صيام. 2010. ص: 23). ومن هنا يمكننا القول أن ليلة القدر هي ذات قدر عظيم لفضائلها الكثيرة والمتعددة "ففيها أنزل الله تعالى القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة، أمّا خير من ألف شهر وأن الملائكة تنزل فيها، وهم لا ينزلون إلا بالخير والبركة والرحمة... (الرشيدى أمين السعيد. 2000. ص:35).

وفي هذا الصدد يقول السيد قطب عن ليلة القدر "بأنها تلك الليلة الموعودة المشهودة التي سجلها الوجود كله في فرح وغبطة وابتهاج، ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملا الأعلى - ليلة بدء نزول القرآن الكريم على قلب محمد صلى الله عليه وسلم - ليلة ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته وفي دلالته وفي آثاره في حياة البشرية جميعا العظيمة التي لا يحيط بها الإدراك البشري" (الرشيدى أمين السعيد. 2000. ص:14).

انطلاقا مما تم ذكره فإن ليلة القدر تعتبر على أنها ليلة روحية وبما أن هذه الليلة تندرج ضمن ليالي رمضان، وهذا الأخير هو شهر عبادة بحيث تنوع فيه الممارسات الدينية في أبعث صورها في ترتيب القرآن الكريم وقيام الليل والتسبيح وأداء صلاة التراويح، والدعاء، وبجانب هذه الممارسات نجد كذلك الممارسات السوسيو- ثقافية حاضرة في شهر رمضان بصفة عامة وفي ليلة القدر بصفة خاصة.

3 مفهوم الثقافة :

يعرف تايلور الثقافة على أنها "ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات التي يكتسبها الإنسان كعضو في جماعة" (الرشيدان عبد الله. 2004. ص:139).

ومن خلال هذا التعريف نستطيع أن نتميز بين عنصرين للثقافة هي العناصر الثقافية المادية والعناصر المعنوية، والذي يهمننا في هذا المجال هو جزء من العناصر المعنوية للثقافة وهي العادات والتقاليد والمعتقدات، فهذه العناصر هي عبارة عن ممارسات سوسيو-ثقافية.

4 مفهوم العادات والتقاليد:

تعبّر كل من العادات والتقاليد على التراث الثقافي للمجتمع، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها، وتكتسب هذه العادات والتقاليد بواسطة وسائل عملية التنشئة الاجتماعية انطلاقا من الأسرة باعتبارها النواة الأولى للتنشئة وغيرها من الوسائل. ولكن ماذا نعني بالعادات والتقاليد؟.

-التقاليد: هي عبارة عن "مجموعة من قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضا والاتفاق الجمعي، وهي تستمد قوتها من المجتمع، وتحتفظ بالحكم المتراكمة، وذكريات الماضي التي مر بها المجتمع يتناقلها الخلف عن السلف جيل بعد جيل" (عبد الحميد أحمد رشوان. 2002. ص:204).

انطلاقا من هذا التعريف نستخلص أن التقاليد تتسم بصفتين أساسيتين وهما:

صفة العمومية: مجموعة السلوكات والممارسات التي يشترك فيها أفراد المجتمع كطريقة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى وغيرها من المناسبات.

صفة التوارث: يمكن اعتبار التقاليد كذاكرة جماعية (Mémoire collective) وهذا يعني أن التقاليد تورث وتنتقل من جيل إلى جيل بحيث يرثها أفراد المجتمع ويورثونها، وهذا ما أشار إليه حسن الساعاتي في قوله: "إن التقاليد عادات مقتبسة اقتباساً رأسياً، أي من الماضي إلى الحاضر ثم من الحاضر إلى المستقبل، فهي تورث وتنتقل من جيل إلى جيل ومن السلف إلى الخلف على مر الزمان" (دياب فوزية. 1980. ص: 164).

-العادات: يعرفها جلن وجلن (Gillen-Gillen) هي "كل سلوك متكرر يكتسب اجتماعياً، ويتعلم اجتماعياً ويمارس اجتماعياً ويتوارث اجتماعياً" (دياب فوزية. 1980. ص: 104-105).

انطلاقاً من هذا التعريف نستخلص أن العادات هي ظاهرة اجتماعية تمثل أسلوباً اجتماعياً، بمعنى أنه لا يمكن أن تتكون وتمارس إلا في مجتمع وبالتفاعل بين أفرادها، كعادات التحية، وارتداء ملابس جديدة أيام العيد "عيد الفطر - عيد الأضحى" وزيارة القبور والأضرحة وغيرها من العادات الاجتماعية.

ولكن ما يمكن الإشارة إليه، أن ليس كل سلوك متكرر يدخل في إطار العادات الاجتماعية فهناك سلوكات تتكرر باستمرار تندرج ضمن العادات الفردية أي يمكن اعتبارها لوازم أو ضرورات فردية شخصية، كعادة غسل الوجه، عادة مشط الشعر بشكل معين، وغيرها من العادات اليومية للفرد.

كما أشار كذلك Gillen في تعريفه للعادات أنها مورثة، وهذا ما يؤدي بنا للقول على أنها مثلها مثل التقاليد تعبر عن الذاكرة الجماعية لمجتمع ما، بالإضافة إلى الخصائص التي ذكرها Gillen في تعريفه للعادات نذكر أيضاً "أنها تتميز بال تلقائية بمعنى تنشأ نتيجة اجتماع الناس معا لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر السلوك الجمعي" (عبد الحميد أحمد رشوان. 2002. ص: 201).

كما أن العادات تتصف "بالإلزام والجبرية" (دياب فوزية. 1980. ص: 120)، أي أن لها سلطة على الأفراد بحيث تضغط عليهم، ويشعر كل واحد منهم أنه مضطر للخضوع لها، وكذلك تتميز بالنسبية والتنوع ذلك لأنها (العادات) تختلف من مجتمع لآخر ومن زمن لآخر، وهذا التغيير لا يكون كلياً بل جزئياً أي إضافة عناصر والتخلي عن أخرى بفعل عملية الاحتكاك بالغير، وكذلك التطور الذي يصيب المجتمع.

كما أن لهذه العادات الاجتماعية صلة بالدين وبعض الممارسات المتعلقة بالمعتقدات الشعبية كزيارة الأولياء والتبرك بهم، وكذلك فيما يتعلق بالاحتفالات الدينية كعيد الفطر، عيد الأضحى،... وما يصاحبها من عادات شعبية كصنع الحلويات وارتداء ملابس جديدة يوم العيد مثلا. وخلاصة القول: أن كل من العادات والتقاليد تحتل أهمية داخل المجتمع بحيث تحظى بالتقديس والاحترام من طرف الأفراد مما يؤدي إلى تعزيز وحدتهم وتقوية الروابط فيما بينهم، وبالتالي يمكن القول أن العادات والتقاليد تظهر كرابط اجتماعي.

5 مفهوم الميثولوجيا:

تعتبر الأساطير وليدة الفكر الإنساني، بحيث لا يخلو شعب من شعوب العالم اليوم من الفكر الأسطوري، إذ يشكل مجالا من مجالاته الثقافية وبعد من أبعاد الوعي البشري وبناء على هذا تبرز أهمية الأسطورة بالنسبة للإنسان بحيث لا يستطيع العيش بدونها وهذا ما أشار إليه المفكرون الأنثروبولوجيون نذكر منهم Roger Bastide في قوله: "أن الإنسان يبقى دائما آلة لصنع الميث (الأسطورة)" (Abou.Sèlim. 1981 :158).

فالأسطورة (Le mythe) هي "رواية لأحداث وما ينجم عنها من تأسيس وتنظيم" (Jeffrey Denis. 1998. P : 14).

ويعرف فيكتور تيرنو (Victor Turner) الأساطير على أنها: "تحديد القصص المقدسة المتعلقة بالمخلوقات المقدسة أو بالأبطال المقدسين أشباه الآلهة هذا بالإضافة إلى القصص الأخرى الخاصة بنشأة وأصل الأشياء من خلال عمل هذه المخلوقات المقدسة" (مصطفى أحمد. 2008. ص: 71).

انطلاقا من هذه التعريفات للأسطورة يمكن أن نستخلص أنها عبارة عن رواية لأحداث جرت في الماضي سواء كانت هذه الأحداث حقيقية أو غير حقيقية، فإنها تحكي على أنها حقيقية ويعتقد أنها حقيقية بحيث نجدها في الواقع جزء من الحقيقة الاجتماعية التي يعيشها الناس ويتفاعلون معها، ويعبرون عن أنفسهم طبقا للتكوينات الرمزية، وهذه التكوينات الرمزية يجب أن تكون لها معنى حتى ولو كان بسيطا فهو يشارك في حياة الناس وإلا استحال عليهم الاتصال مع بعضهم البعض.

كما نستخلص أيضا أن الأسطورة ترتبط أولها صلة مع المعتقدات الدينية والطقوس أي ذات صلة بالجانب الديني وهذا ما أشار إليه العديد من الباحثين والمفكرين أمثال مالمينوفسكي

(B.Malonowski) ورايرتسن سميث (R. Smith) أن هناك ارتباط قوي ووثيق بين الأساطير والطقوس، بحيث يقول ر. سميث "أن الأسطورة هي تفسير أو تأويل الطقوس الدينية" (عبد المعيد خان. (ب. ت. ص: 18).

وهذا يعني أن الميث يربط الطقس بأصله، وهذا الأخير (الطقس) يعمل على تثبيته (الميث) في الأذهان والنفوس ويظهر هذا بالخصوص في الطقوس الدورية كعيد الأضحى والاحتفال بليلة القدر عند المسلمين أما عند اليهود نجد حفلة Le sabbat وغيرها من الطقوس الموجودة عند مختلف الأديان.

ثانيا: الاحتفال بليلة القدر (الممارسات والمعتقدات):

1 البعد السوسيو-ثقافي للاحتفال بليلة القدر:

يحتفل أفراد المجتمع بليلة القدر في السابع والعشرين من رمضان، ويتخذ هذا الاحتفال طابعا أو لونا ثقافيا خاصا بالمجتمع، بحيث نجد العديد من الممارسات والعادات المتنوعة التي يشترك الأفراد في أدائها الكبار منهم والصغار، الرجال والنساء. إلا أن الاستعداد للاحتفال بهذه المناسبة يختلف عند النساء منه عند الرجال بمعنى الاختلاف في الممارسات بحيث تكون خاصة بالنساء دون الرجال أو العكس وبناءا على هذا سيتم عرضها من خلال المستويين التاليين على المستوى الجنسي أي الممارسات والسلوكيات الخاصة بالرجل والمرأة، وعلى المستوى الزمني (أي فترة بدء الاستعداد للاحتفال عند النساء وعند الرجال). فنجد أن استعداد النساء للاحتفال بهذه المناسبة يكون بدءا من الصباح، بحيث يقمن بزيارة المقابر والأضرحة ثم يعدن إلى المنزل لإعداد أو لتحضير الرقاق حسب ما أدلى به المبحوثين، إلا أن هناك أسرتان تقوم بإعداد الكسكس والطمينة، فهذه المناسبة تعتبر ميلاد نزول القرآن الكريم .

إذن: الإعداد لهذه الأكلة بمناسبة ميلاد القرآن الكريم هي شبيهة أو بالأحرى هي نفسها الأكلة التي يتم تحضيرها لاستقبال المولود (الطفل) الذي يخرج من بطن أمه إلى الحياة، فكذلك القرآن بدوره ينزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل إلى الأرض على الرسول صلى الله عليه وسلم. أما بالنسبة للأسر الأخرى فالإعداد لهذه الأكلة "الرقاق" باعتبارها عادة ورثوها عن الأسلاف كما يقمن كذلك بتبادل الزيارات مع الأهل والجيران في هذه المناسبة.

أما في الليل البعض من النساء يذهبن إلى المسجد لأداء صلاة التراويح وحضور حفلة اختتام القرآن والبعض الآخر يذهبن عند الأهل والجيران لقضاء السهرة والاجتماع على القهوة والشاي والمقبلات والحلويات المتنوعة.

أما بالنسبة للرجال فنجد أن نشاطهم الاحتفالي يبدأ بعد الفطور، بحيث يتجهون إلى المسجد لأداء صلاة التراويح كالعادة إلا أن الشيء المميز في هذه الليلة، أنها الليلة التي يتم فيها حتم القرآن، والليلة التي يكون فيها الأداء الأخير لصلاة التراويح، بالإضافة إلى هذا تقسيم الجوائز على الأطفال الذين يزولون على حفظ القرآن، وبجانب هذه السلوكات يأخذ الأفراد "الطعام" والقهوة والشاي والحلويات للمسجد بهدف الاحتفال معا بهذه المناسبة الدينية، وبهذا يعم الاحتفال الشوارع والطرق التي تنيرها المصابيح، وشذى البخور الذي يعبقها (الشوارع والطرق) بالإضافة إلى حلقات الذكر والندوات الدينية.

انطلاقا من هذه الممارسات المتنوعة الدينية والاجتماعية والثقافية التي يقوم الأفراد بأدائها خلال الاحتفال بليلة القدر، يمكن أن نستخلص العديد من الأفكار وهي كالآتي:

- أن الممارسات الدينية (كأداء الصلاة التراويح، وترتيل القرآن الكريم، الذكر،...) تشمل الرجال أكثر من النساء، أما الممارسات الاجتماعية الثقافية كزيارة القبور وإعداد طعام خاص بهذه المناسبة،... فهي تخص النساء أكثر من الرجال، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الممارسات الدينية تكون في الليل، أما الممارسات الاجتماعية والثقافية فهي تكون في النهار والليل معا.

- تتخذ الاحتفالات الدينية ونخص بالذكر الاحتفال بليلة القدر المسجد باعتباره مكانا مقدسا كمركز ثقافي وكمركز ديني، ويتجلى هذا من خلال الممارسات المتنوعة الدينية، الاجتماعية والثقافية، وبالتالي الخلط بين ما هو مقدس وما هو مدنس وتعبير آخر يعتبر الاحتفال بليلة القدر وكأنه ترخيصا للتقارب بين ما هو مقدس وما هو مدنس.

وبناء على هذا، يتضح لنا أن أهم الخصائص التي يتميز بها الطقس الاحتفالي-الاحتفال بليلة القدر- والتي تجعل التقارب والالتقاء والتكامل بين ما هو مقدس وبين ما هو مدنس، كالآتي:

الطقس حالة مقدسة: بحيث يرى دوركامب أن الطقس يكتسب ميزة أو خاصية مقدسة (Durkheim. E. 1985 : 444). الشيء الذي يضيف على الطقوس صفة القداسة هو التكرار

المستمر في ممارستها، بحيث يتم إحياءها من جديد في فترات معينة مثلاً الاحتفال بليلة القدر في السابع والعشرين من شهر رمضان من كل سنة.

الطقس حالة فعل (Dortier. J. François. 2004 : 737): بمعنى أنه عبارة عن سلوكيات متنوعة تؤدي إلى إنشاء وتكوين روابط اجتماعية.

الطقس حالة مشتركة بين الأفراد: بمعنى أن كل أفراد المجتمع يشتركون في أدائه كصوم رمضان، الاحتفال بعيد الفطر، الاحتفال بليلة القدر،... الخ أو على الأقل يضم جماعة من المجتمع كالحج. وخلاصة القول، هذه أهم الخصائص التي تتميز بها الطقوس الاحتفالية في كل المجتمعات، وهذا يدل على أن لها صفة العالمية، بمعنى أنها توجد في كل المجتمعات الإنسانية في مختلف مراحلها وبمختلف أشكالها، وأن الدين هو نظام مترابط من العقائد والممارسات التي تتميز بكونها مقدسة وهي في موضع متميز ومنفصل عن سائر الأشياء لأنها موضع خشية ورهبة بحيث تقوم هذه المنظومة الدينية بجمع أفراد المجتمع الواحد في قيم أخلاقية مشتركة.

-يتضمن الاحتفال بليلة القدر ثنائية التقليد والحداثة، كيف ذلك؟

في الحقيقة تعتبر العادات والتقاليد ضرورية في إحياء الاحتفالات الدينية الإسلامية ونخص بالذكر الاحتفال بليلة القدر، بحيث لا يمكن الأفراد الاستغناء عنها بالرغم من التغيرات والتجديدات التي تطرأ عليهما (العادات والتقاليد) أي المزج بين الأصالة والمعاصرة وبين ما هو تقليدي وما هو عصري، وهذا شيء طبيعي لأن المجتمع في حركة وضرورة دائمة، فمن جهة يلحقه التغيير ومن جهة أخرى يسعى لمواكبة الحداثة بهدف الوصول إلى التطور والازدهار.

وما هو معروف عن سكان المدينة أنهم يتأثرون بسرعة التغيرات والتطورات التي تطرأ على المجتمع وبالتالي مواكبتهم للتجديدات من حداثة وعصرنة وبناء على هذا نجد أن الحلويات في أحياء مدينة وهران جد عصرية زيادة عن ذلك فهي في تجدد مستمر، بحيث نجد أنواع وأصناف من الحلويات منها ما هو تقليدي كالعك والبسكويت والمقروض والقيوش والطنونو... ومنها ما هو عصري، مثل الصببيغات، بحلاوة والقطايف... التي يتم إعدادها في العشر الأواخر من رمضان وتزيد وتستمر العملية وتصل إلى ذروتها في الأيام الثلاثة الأخيرة، بحيث نجد النساء يحرصن في إعدادها على أن يكون الذوق والشكل جذاب

وملفت للأنظار، وبمعنى آخر أن في كل عيد نجد حلويات جديدة، وهذا التجديد إن لم يكن في المذاق يكون في طريقة التزيين (الشكل).

ما يمكن التنويه إليه، أن إعداد الأطعمة والحلويات في هذه المناسبة لا ينفى وجودها في سائر الأيام ولكن الشيء المميز فيها أن إعدادها يعتبر ضرورة وهذا انطلاقاً من المحددات الثقافية والاجتماعية التي تلزم الأفراد باحترامها والتقييد بما هذا من جهة ومن جهة أخرى تعتبر كرمز للاحتفال وبالتالي التعبير عن الفرحه بانتهاء من ختم القرآن في أواخر شهر رمضان المعظم.

ما هو جدير بالذكر، أن الحدائثة تعتبر عهداً جديداً ومرحلة جديدة مست مختلف الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية وهي مشروع غربي، سعت منذ قيامها إلى أن تكون عالمية، بحيث تسربت إلى كل بقاع الأرض وأصبحت جزءاً من المكونات المحلية على مستوى الأفراد والمجتمعات المحلية والدولية، ولكن هذا المشروع الكوني لا يتجلى في كل مكان بنفس الطريقة بل إنه يترك صوراً من التباين والتفكيك التي لا سبيل إلى الخوض فيها، فإذا كانت الحدائثة ظاهرة كونية فهي تتبدى في صور وأشكال مختلفة هي أشد اختلافاً عن الأصل الذي انفجرت منه ثورة الحدائثة (المجتمعات الغربية) وهنا إشارة إلى أن اختلاف قيم ومبادئ المجتمعات يؤدي بالضرورة إلى اختلاف أشكال وصور وأسلوب تبني الحدائثة فعلى سبيل المثال نجد أن المجتمعات المتقدمة بصفة عامة فصلت بين ما هو ديني وما هو دنيوي (العلمانية)، أما باقي المجتمعات ونقصد هنا بالضبط المجتمعات العربية الإسلامية ما زالت لم تفصل في هذا الأمر، بحيث تتزواج بين ما هو ديني وما هو دنيوي أي بين التراث والحدائثة، الأصالة والمعاصرة إلا أن هذا التزواج يؤدي إلى إفراز مشاكل وأزمات داخل المجتمع وهذا ما أشار إليه بعض المفكرين نذكر من بينهم برهان غليون في قوله: "إن عدم حسم الصراع بين الحدائثة والتراث قد خلق أزمة في الهوية العربية الإسلامية، فمثلاً نجد أن نمط الحدائثة في المجتمع العربي عموماً يطلق عليه بعض المفكرين اسم "الحدائثة البرانية" ويقصد بها أساليب الحياة والتصورات العامة، وأنماط السلوك التي لا توصف بأنها تقليدية ولا حداثة، وإنما هي مزيج مشوه من كليهما" (زايد أحمد. 2005. ص: 113)

أما الحدائثة في المجتمع الجزائري يمكن أن نطلق عليه اسم "حدائثة ظرفية" بمعنى إتباع أساليب وسلوكات وأفكار حديثة تارة وتقليدية تارة أخرى بمعنى تكون مرتبطة بظروف خارجة عن إرادة الفرد بصورة مباشرة

أو غير مباشرة، فمثلا خلال فترة الاحتفال والاستعداد لإعداد الحلويات في شكلها العصري يكون بناءا على ما تفرضه وسائل العولمة (التلفزيون، الأنترنت) التي تخصص برامج خاصة بالأطعمة والحلويات.

2 الميثولوجيا الدينية والاجتماعية حول ليلة القدر:

كما سبق وأشرنا أن الميث يربط الطقس بأصله، وعليه فإن الاحتفال بليلة القدر يتضمن لميثولوجيا دينية والتي تعبر عن أهمية تلك المناسبة والتي تتمثل في بداية نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم، بحيث أول شذرة قرآنية هبط بها جبريل عليه السلام على قلب محمد صلى الله عليه وسلم كانت في شهر رمضان وفي ليلة من لياليه ألا وهي ليلة القدر حينما كان محمد يعبد ربه في غار حراء، فكانت هذه نقطة تحول بين عهدين، كانت أول قطرة من غيث الرحمة الإلهية التي جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهدوم والشفاء إلى السعادة، ثم تتابع الغيث في مدة ثلاث وعشرين سنة حتى أكمل الله دينه (رسالته).

إذن ليلة القدر ليلة نزول القرآن الكريم وعيد ميلاده الشريف، وهي ليلة غير محددة بزمن معين هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن علامة ظهورها غير محددة أيضا بل هي عبارة عن تحريات، بحيث تتخذ علامات متنوعة وهذا ليس من الناحية الدينية فقط بل كذلك نجد من الناحية الاجتماعية والثقافية. باختصار، الاحتفال بليلة القدر لا يتضمن لأسطورة الدينية فقط بل يتعداها ليتضمن أيضا أساطير ومعتقدات شعبية تنبع من ثقافة المجتمع ذاته، بحيث نجد أن للأفراد معتقدات وتصورات متنوعة حول ليلة القدر أي حول كيفية ظهورها فمنهم من يرى أنها تظهر على شكل شعاع من النور ومنهم من يرى ظهورها على صفة الملائكة، وهذه الاعتقادات والأفكار هي نابعة من الواقع أي من خلال (الأهل، الأصدقاء، الجيران) أو من وجودها مذكورة في الأحاديث، ونوضح ذلك من خلال قول إحدى المبحوثات (ل.ش. 26 سنة. عاملة في محل الحلويات): "ليلة القدر طاحت على حمى أختي على شكل شعاع من النور وطلب منها شا بغي".

فجانب الطقوس والممارسات المتنوعة التي يقوم الأفراد بأدائها للاحتفال بليلة القدر، فإننا نجدهم أيضا يقومون بممارسات أخرى كعملية البخور التي تدور بها المرأة في أنحاء المنزل، وهذا لاعتقادها أنها الليلة التي يظهر فيها الجن، وأن الدخان هو الذي يؤثر عليه وبالتالي ابتعاد الضرر عنهم، وفي هذا المعنى نشير إلى ما توصل إليه وستمارك في دراسته للمغرب أن "العديد من التعاويذ التي تستخدم لدرء الحسد منها في هيانا

(Hiaini) وفي آقلي (Aglu)، وكذلك في الريف الفلسطيني وهذا الآخر يتم حرق قطعة صغيرة من ثوب الرجل أو المرأة التي يشك في قدرتهم على الحسد، ثم يمر عليها الشخص المحسود، لاعتقادهم أن الدخان سوف يذهب التأثير الضار للعين" (شريف فاتن. 2006: 375).

والسبب الذي يؤدي إلى إثبات صحة هذا الاعتقاد حسب آراء المبحوثين هو بدء ممارسة الشعوذة من طرف المشعوذين في هذه الليلة بالضبط.

فممارسة الشعوذة دليل على سقوط الطابو الاجتماعي، ومنه يمكننا القول أن الاحتفال بليلة القدر يتضمن اعتقادات وأساطير ذات طابع شعبي أي ثقافة شعبية.

إذن: الاحتفال بليلة القدر يتضمن ثقافة شعبية خاصة بالمجتمع الجزائري عامة والمجتمع الوهراني خاصة.

ثالثا: تحليل النتائج

إن الاحتفال بليلة القدر يعتبر ممارسة دينية واجتماعية وثقافية تميز المجتمعات الإسلامية عامة والمجتمع الجزائري خاصة، هذا الأخير الذي يشهد تميزا في طريقة الاحتفال بهذه المناسبة الدينية السعيدة التي تعكس ثقافته من عادات وتقاليد ومعتقدات، وهذا ما جعلنا نقوم بدراسة ميدانية بإحدى المدن الجزائرية ألا وهي مدينة وهران، هذه الأخيرة التي لها طابع ولون مميز في الاحتفال بليلة القدر، ومن هنا الإشكال المطروح هو كالتالي: فيما تتمثل عادات وتقاليد الاحتفال بليلة القدر داخل المجتمع الجزائري؟ وهل تعكس تلك العادات والتقاليد ثقافة المجتمع؟.

ولقد تم الاجابة على هذه الاشكالية في الفرضيات الآتية:

- يتضمن الاحتفال بليلة القدر مجموعة من العادات والتقاليد منها ما هو اجتماعي ومنها ما هو ديني كأداء صلاة التراويح، حتم القرآن الكريم وتحضير أطعمة خاصة بهذه المناسبة وزيارة الأضرحة.
- تعكس المعتقدات والعادات والتقاليد الخاصة بالاحتفال ثقافة المجتمع الجزائري عامة والمجتمع الوهراني خاصة.

وللوصول إلى الهدف المنشود اتبعنا منهجية علمية محكمة عبر مراحل متتالية تلخصت في تحديد المفاهيم والمقاربة النظرية والتقنيات المعتمدة لجمع المعطيات حول الموضوع، ولقد انتهت الدراسة بالوصول إلى النتائج التالية: - يتضمن الاحتفال بليلة القدر مجموعة من العادات والتقاليد والمعتقدات.

- إن كل من العادات والتقاليد والأساطير توصف كرموز ثقافية تهدف عموماً إلى الحفاظ على استقرار النظام الاجتماعي للمجتمع، و بما أن عالم الرموز الثقافية متنوع و متعدد فهو بالضرورة مختلف من ثقافة مجتمع إلى ثقافة مجتمع آخر، وهكذا الحال بالنسبة للمجتمع الوهراني الذي يختلف عن المجتمعات الأخرى في طريقة الاحتفال بليلة القدر.

- الاحتفال بليلة القدر يرمز إلى الخصوصية الدينية الإسلامية (أداء صلاة التراويح، ختم القرآن،...) من جهة وإلى الخصوصية الثقافية من جهة أخرى (إعداد أطعمة خاصة، تبادل الزيارات، زيارة الأضرحة،...).
- يؤدي الاحتفال بليلة القدر إلى الرباط الاجتماعي.

- يساعد الاحتفال بليلة القدر على معرفة واقع المجتمع الجزائري عامة والمجتمع الوهراني خاصة.
ومن خلال هذه النتائج يتضح لنا تحقق فرضيات الدراسة.

خاتمة:

ومما سبق ذكره، نحمل نتائج الدراسة فيما يلي:

- تعكس العادات الغذائية خلال موسم الاحتفال ثقافة المجتمع الجزائري عامة والمجتمع الوهراني خاصة.
- تؤدي مختلف الممارسات الدينية والاجتماعية والثقافية خلال فترة الاحتفال بليلة القدر إلى المشاركة الجماعية والاندماج الثقافي.

- تأخذ عادات وتقاليد الاحتفال بليلة القدر الطابع الشعبي، و يتجلى ذلك من خلال زيارة الأضرحة التي تعتبر من الممارسات الأساسية والمركزية في التدين الشعبي، وكذلك إعداد "الرقاق" الذي يعتبر عنصر من عناصر الثقافة الشعبية.

- إن الممارسات الدينية والاجتماعية والثقافية خلال فترة الاحتفال بليلة القدر بالمجتمع الوهراني مرتبطة بعوامل الزمن والجنس.

- إن كل من الأساطير الدينية والاجتماعية، هي تعبير عن ثقافة المجتمع وبالتالي تعكس أفكار ومعتقدات وقيم أفراد، وبالتالي فهي تعتبر أساس النظام الاجتماعي ونسق الأدوار الاجتماعية وعلاقة الأفراد بعضهم البعض، أي تعكس صورة المجتمع الجزائري عامة والمجتمع الوهراني خاصة.

- عادات و تقاليد الاحتفال ترمز إلى وحدة الجماعة.

- إن تبادل الزيارات بين الأهل و الجيران يعكس قوة العلاقات الاجتماعية.

- الاحتفال بليلة القدر يعكس فرحة وسعادة أفراد المجتمع التي تغمر قلوبهم.
وفي الأخير، التوصيات والاقتراحات التي يتم تقديمها من خلال هذه الدراسة هي كالآتي:
-دراسة واقع الاحتفال بليلة القدر في المجتمعات الإسلامية عامة والمجتمع الجزائري خاصة في ظل الأزمات والمشاكل وبمعنى آخر في ظل جائحة كورونا.
-دراسة التغيرات والتحويلات التي تطرأ على ظاهرة الاحتفال بليلة القدر في المجتمع الجزائري.
-القيام بدراسة مقارنة حول عادات وتقاليد الاحتفال بليلة القدر من حيث الزمن (الماضي والحاضر) ومن حيث المكان (من مجتمع لآخر، ومن مدينة لأخرى).

قائمة المراجع:

- 1-الرشيدى أمين السعيد. (2000). *ليلة القدر في ضوء الكتاب و السنة و أقوال السلف الأمة*. مصر. دار الكلمة للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى.
- 2-الرشدان عبد الله. (2004). *علم الاجتماع التربوية*. الأردن . دار الشروق للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى.
- 3-دياب فوزية. (1980). *القيم والعادات الاجتماعية - بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية*. بيروت. دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- 4-زايد أحمد (2005). *تناقضات الحدائفة في مصر*. القاهرة. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- 5- شريف فاتن (2006). *الأسرة والقرباة - دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية*. الإسكندرية، دار الوفاء للنشر والطباعة. الطبعة الأولى.
- 6- شحاتة صيام. (2010). *الولي والمقدس*. مصر العربية للنشر والتوزيع. القاهرة. الطبعة الأولى.
- 7-عبد الحميد رشوان. (2002). *المجتمع: دراسة في علم الاجتماع*. الإسكندرية. المكتب الجامعي الحديث. الطبعة الثانية.
- 8-عبد المعيد خان. (ب.ت). *الأساطير و الخرافات عند العرب*. لبنان. دار الحدائفة للطباعة والنشر.
- 9-مصطفى أحمد. (2008). *الأنثروبولوجيا و دراسة التراث الشعبي: دراسة ميدانية*. الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية.
- 10-مصباح الصمد (2006). *معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا*. لبنان. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد". الطبعة الأولى.

- 11-Abou .Selim.(1981) *.l'identité culturelle*. paris. éditions anthropos pluriel.
- 12-Chelhod Joseph (1986). *Les structures du sacré chez les arabes*. Paris. Edition Maisonneuve et La rose.
- 13- Durkheim Emile. (1985) *Les formes élémentaires de la vie religieuse* Paris. PUF. 7eme éditions.
- 14- Dortier Jean François (2004). *Le dictionnaire des sciences humaines*. Editions Sciences Humaines.
- 15-Jeffrey Denis.(1998) *.jouissance de sacré religions et postmodernité* .paris. Armand colin.
- 16- M. Malherbe(1990) *.Les religions de l'humanités* .paris. picard.
- 17-Riviere.claude. (1997). *socio-anthropologie des religions* . Paris. armand colin.
- 18-Segelem.m. (2001).*ethnologie –concept et aires culturelle*. .Paris. vuef. Armand colin.
- 19-Victor .tuner.(1990). *le phenomene rituel –structure et structur*. Paris. Puf.